عوامل انحراف الفتاة في المجتمع الجزائري
دراسة حالة في مدينة قسنطينة

د/ بوسنة عبد الوافي زهير
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
جامعة بسكرة

الملخّص :

إن هذا المقال عبارة عن ثمار لعمل ميداني اعتمد على المنهج الإكلينيكي، ذلك للتقرب من الفتاة المنحرفة والكشف عن العوامل التي تساهم في ولوجها عالم التمرد.
ترتكز هذه الدراسة على المقابلات الإكلينيكية النصف موجهة، بالإضافة إلى اختبارين إسقاطين هما اختبار الرورشاخ واختبار الإحباط،هذا بغية الوقوف على سمات شخصية الفتاة المنحرفة. و لقد استطعنا في النهاية رسم بروفيل نفسي يخص فئة الفتيات المنحرفات رغم أنه لا يمكن تعميم النتائج لأنها عبارة عن دراسة حالة، والنتائج تخص الحالة المدروسة فقط.

Résumé :

Cet article se propose de démontrer les résultats d'un travail de terrain basé sur la méthode clinique.
En effet, l'objectif c'est d' éclairer les causes de la déviance chez la fille.
Cette étude s'est basée sur les entretiens cliniques semi-directifs, en plus de deux tests projectifs : le rorschach et le test de frustration de Rosenzweig pour arriver aux aspects de la personnalité.
En fin, nous avons pu mettre le profil psychologique des filles déviantes, quoi que les résultats ne peuvent pas être généralisés en utilisant la méthode des cas.

مقدمـــة:

يعاني المجتمع الجزائري جملة من الظواهر الاجتماعية التي أثقلت كاهله، وأضحت تهدد مستقبل الأسرة خاصة. هذه الأخيرة، كالقلب النابض في الجسم، قوام المجتمع، يصلح بصلاحها ويعوج بانشقاقها. فالأسرة الجزائرية مند أن كانت نووية وهي معروفة بقوتها وتماسكها، فقد أنجبت رجالا أثبتوا بمواقفهم أنهم قادة أقوياء ونساء عملن على تربية أبنائهن على الفضيلة والاحترام وحسن الخلق.

لعل غياب الاتصال بين أفراد الأسرة الجزائرية ساهم في شيوع الآفة الاجتماعية بمختلف أنواعها، وعلى رأسها انحراف الأبناء وتمردهم على النماذج الاجتماعية المألوفة. وهذا قد يكون من جراء الغزو الثقافي الغربي الذي ألقى بظلاله على المجتمع وأصبح من الصعب التحكم في الابن أو البنت. لقد كان المغزى الحقيقي من هذا العمل الميداني هو نقل حقيقة لا يستهان بها، تتمثل في فئة البنات اللاتي لا بد من الالتفاف حولها وإحاطتها بالأمان والمساعدة في هذا السن الحرج الملفوف بالمخاطر.

1- الفتاة وسط العائلة الجزائرية:

1-1 العائلة الجزائرية التقليدية: من خصائص العائلة الجزائرية التقليدية انها عائلة موسعة، حيث يعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية تحت سقف واحد.

فهي عائلة بطريقية، الأب أو الجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية وينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي، وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ على تماسك الجماعة وغالبا بواسطة نظام محكم. كما أنها عائلة اكناتية، النسب فيها للذكور والانتماء أبوي ،وانتماء المرأة يبقى لأبيها. كذلك تعد عائلة لا منقسمة أي أن الأب له مهمة ومسؤولية على الأشياء، البنات يتركن المنزل العائلي عند الزواج وذلك خلافا للذكور اي الابناء المنحدرون من ابناءه والمنحدرون من أبناء أبناءه.(01)

إن العائلة كلمة جدية لا يمكن أن تكون موضوع هزل حيث يمكن أن يمزح مع بعض الأقارب، لكن العائلة كلمة مشحونة بحساسيات عندما ينطق بها، لهذا فالمصطلح يعني بما يعنيه كقيمة أخلاقية وروحية فكرة كاملة عن العائلة الجزائرية.

في مقابل هذا يعرف دوركايم العائلة فيقول:" إن العائلة عبارة عن مجتمع ما كامل، حيث تمتد حركته إلى الأعمال الاقتصادية والدينية منها، كذلك السياسية والعلمية...كل ما نقوم به وما يعتبر مهم حتى ولو كان خارج المنزل"(02)

2-1 العائلة الجزائرية المعاصرة: لقد تحول الاب الجزائري من السيطرة في العائلة الى اكتساب وضع يتميز بعدالة اكبر وتساوي أكبر مع أبنائه، ومن رئيس تسلطي الى رئيس ديمقراطي مدفوع من الأحداث.

يميل تغير وضع الأب الجزائري الى أن يغيب عن الانتباه في تحليل أولي، لكنه التغير الأكثر أهمية داخل العائلة التقليدية، فكل من الأبناء و المحيط يحسون بذلك لكن بدون وضوح، كما يلاحظ الاحترام المطلق الذي يحظى به الأب في الجيل السابق.

فالوضعية الحالية للأب تجعله يضع نفسه في نفس الوقت في مكان الجد، فهو الذي يسير المصالح اللامنقسمة للعائلة وهو الذي يمنح الدم العائلي لأبنائه.

ان الضرورة الاجتماعية لتحديد مركز القرار للجماعة العائلية جعلت من الأب ليس فقط رب العائلة، لكن رائدا اجتماعيا. وفي هذا السياق يشير ليبوفيسي S.Lebovici إلى أهمية الوظيفة الأبوية بالنسبة للطفل فيقول: " إن الوظيفة الأبوية عبارة عن عامل يعد وجوده ضروري في الميدان الذي ينشأ فيه الطفل، ذلك لتكوين شخصيته، فكل مجتمع وكل ميدان اجتماعي يحتم على الأب أدوارا لا تتماثل غالبا مع بعضها" (03) لقد وقع تغير واضح على مستوى أب العائلة الذي لم يستطيع التصرف بطريقة أخرى الا اتخاد موقف سلبي، اما أن يكون أو لا، متفقا مع تصرفات أبنائه ورغم قيام الأبناء بدور متفوق عليه الا أنه يجد وئاما بين الأبناء و الأهل، اذ يظهر الأهل افتخارا جديدا بالحاجات الاجتماعية المهنية لأبنائهم، كما يظهر الأبناء عطفا صادقا اتجاه الأبوين مؤكدين الاعتراف بالجميل و العطف نحوهم.

تظهر مما سبق قدرة الأبناء على نسج علاقات خارجية تنمي شخصيتهم حسب ما جاء في قول بيتلهايم B.Bettelheim :" إن تطور الشخصية يكون موازيا مع تكوين آنا مستقل وتطوير آنا غني ومستقل، يتصادف مع وجود قدرة كبيرة على الدخول في علاقات مع الآخرين وبكل حرية" (04) فوضعية الأب تخول له الحفاظ على نظام القيم التقليدية، التركة الأخلاقية الغير مادية الموروثة من الأجداد.

أما الأم، فكانت في البنية المنزلية الاقتصادية التقليدية، تلعب دورا أكثر انعزالا من دور الأب، فقد أصبحت تمثل بالنسبة للراشد الجزائري علامة الافتخار و الاعتزاز، وقد يصل الى أقصى درجة من التضحية من أجلها.

في مقابل هناك الأم الصغيرة التي هي عضو من أعضاء عائلة متحضرة, تمتاز بوضعية اقتصادية مهمة أكثر حيث تشتغل في ادارة ما وتأتي بموارد مالية للبيت، وان لم تقم بأي واحد من الدورين فانها تسير الميزانية العائلية. ان الأم الحديثة تأخد موقفا جديدا وهو القطيعة مع النمط التربوي التقليدي الذي تسير عليه المجموعة كلها. بصفة عامة، وضعية المرأة في العائلة المعاصرة جد مشرفة بالنسبة لوضعية الأم في العائلة التقليدية.

يجب الاشارة الى تطور دور البنت داخل العائلة، فالمرأة في البنية العائلية كانت ابنة عائلة أولا تحت سلطة أبيها وأمها ثم تحت سلطة زوجها، ولم تعرف الا في سن متقدم حالة قانونية تسمح لها بالقيام بجزء من البادرة في تسير البيت.

ان المرأة في البنية العائلية المعاصرة هي في الحقيقة وقبل كل شيء ابنة العائلة، لكنها كذلك مواطنة لها حقوق بدأت تستعملها، كما أنها لم تعد تلك المرأة التي هي البنت أو الزوجة المنعزلة أو المتحفظة أمام الرجل، وقد تعدل دورها حسب قول دولتو F.Dolto :" الآن تنقص الوظيفة الأمومية للمرأة موازاة مع وظيفتها كامرأة في المجتمع،إذ أصبحت امرأة مواطنة، وأخذت أهمية أكبر من المرأة المسنة(عهد الرومان) أو المرأة التي هي مكرسة من أجل الأولاد فقط" (05) إن عملية ارتقاء المرأة الى القطاعات التربوية والمهنية حديثة جدا، ولا زال هذا الارتقاء مترددا في كثير من الميادين، على الأقل الى مستوى من الكفاءة يساوي كفاءة الرجل.

لقد ثارت م.ميد M.Mead ضد عدد من التفاسير التشاؤمية لانعكاسات تعدد الأوجه الأمومية، و اعتبرتها شكل جديد ضد الأنوثة، فاذا أصر الرجل على اتجاهه القائل أن للمرأة قيمة واحدة، فهذا بغية وضعها في المنزل ومنعها من أقل الحريات.(06)

تتميز العلاقة الجديدة "أم-بنت" أنها أكثر تعقيدا من العلاقة "أب-ابن"، لأن الابن من المفروض عليه أن يكون حرا، أما البنت من الناحية النفسية الاجتماعية فانها في نفس الوقت حرة مدنيا، مطيعة لأبيها اجتماعيا، وتقول م.كلاين M.Klein :" إن تكوين الأنا الأنثوي أساسه تضخم في الأنا الأعلى والذي يفرض عليه الاحترام والطاعة"(07)

فعندما ترتقي البنت الى العمل المأجور في وضعية أكثر التباسا، يتقبل الأب المساعدة مع محاولة اتخاد الموقف الذي لا ينتظر هذه المساعدة، ما يجعل ابنته تحس أنها تعمل بمحض ارادتها دون أي التزام آخر، الا أنه من واجبها أن لا تكون ناكرة لجميل الأبوين.

3-1 آثار النموذج التقليدي: في كثير من المجالات تبقى النماذج القافية الأكثر قدما منغرسة بعمق في سلوك الفتيات ولا سيما وسط العائلات، حيث نلاحظ انفاقا استعراضيا لملامح ثقافية تقليدية، تظهر على مستوى سائر نشاطات الفتاة وولائها للطريقة التقليدية والمراسم والشعائر التي تكرسها اجتماعيا.

لا تزال هذه النماذج الثقافية التقليدية تكيف غالبا تنظيم العلاقات العائلية أو الاحتفالات،و التي تبقى اللحظات التي تسود كثافة كبيرة من العلاقات الاجتماعية وصيانتها المفضلة حسب العادة المتبعة. هناك من الفتيات من يرتدين الزي التقليدي داحل البيت، وقسم من المراهقات يتلقين تربية دينية من خلال المدرسة القرآنية، وفي المقابل توجد فئة منهن يمقتن الثقافة التقليدية ويبحثن عن التطبع بطابع الثقافة الحديثة التي تغلب عليها صور الغرب، مما خلق مشاكل علائقية واضطرابات تمس التأقلم في المجتمع.

فالتأقلم على ثقافة جديدة يمكن أن يكون سبب في مشاكل اجتماعية أكثر ما تكون شخصية، فالأعراض المسماة "خاصة بالثقافة" يمكن أن تظهر على أنها مشاكل تخص المثاقفة.(08) مما يقوي هذه التربية البعيدة النظرعن الفتيات معرفة حسية ومعلومات فنية تنقلها المدرسة التي تعود أصولها وعملها الى الحضارات ذات الطابع الغربي، وينجم عن هذه المواقف تعبير عن ملامح ثقافية مستنبطة وواعية.

4-1 وضع الفتيات بين التقاليد والمعاصرة في الجزائر: ان وصول الفتيات الى المدرسة وهي مؤسسة نشر المعرفة والتقنيات والممارسات الثقافية الحديثة على أحسن مايرام، يؤدي بشكل لا رجعة فيه الى تحول في دورهن ووضعهن ما حددته التقاليد الثقافية.

في الواقع لم تعد تصرفات الفتيات ومشاريعهن وأنماط الاستهلاك عندهن تتوافق مع القيم القديمة القائمة في نظام المعاش الاقتصادي، والتي كانت تنظم تربية الفتيات التقليدية.

حيث كان حقل العمل يقتصر على جو البيت المغلق، وكانت هذه التربية تقوم بوظيفة اقتصادية في ادارة التنظيم المنزلي الداخلي، ووظيفة المحافظة على الثقافة بتوارث تلقين قواعدها.

ولغاية تحقيق الذات تظهر مجموعة من المواقف المجددة والتي تشهد على ارادة الفتيات المراهقات المشاركة في الحياة الاقتصادية للمجتمع الجزائري ونموه.

عكس بعض الأفكار المتوارثة، نلاحظ وجود توافق بين أذواق المراهقات والمجال التعليمي خاصة. وبشكل أعم بين مجمل استعدادهن اتجاه المستقبل وماتنتظره منهن أوساطهن العائلية. هنا تظهر وضعيات صعبة تعيشها الفتاة حسب قول م.كلاين M.Klein :" إن هوامات البنت التي ترمي إلى تهديم الأب والأم لرغبة أو لكره،تعد مصدر الإحساس بالذنب الأكثر عمقا، والوضعيات المرهقة والمقلقة كثيرا"(09) إن الصورة التي تكونها الفتاة عن مستقبلها تشهد استبطان مشروع عقلاني وقيم تسانده، وفي الواقع يدل نمط النشاطات التي تتصورها الفتاة على قطعة من القوانين التقليدية.

فالتعليم وترقب العمل يوسعان امكانيات الفتاة في الاختيار، ويؤديان الى تقوية قدرتها على القرار والاستقلال من السيطرة الوالدية . فحسب وينيكوت D.Winnicott في قاعدة كل مراهقة نجد حالة قتل، قتل الأبوان على المستوى الرمزي بالتالي قتل التمثيلات التي وضعها المراهق لأبنائه.(10)

فالنزعة المهيمنة في المجتمع تعبر عن ارادة العائلات في تزويد بناتها برأسمال مدرسي هام، ويبدو أن هم العائلات يتجاوب مع تحقيق شروط النجاح للفتيات. كماأن استبطان نموذج القيم الحديثة لا يقتصر على المجال الدراسي فقط.

مجمل الفتيات المراهقات تقريبا يتمتعن باستقلالية واسعة فيما يخص طريقة عيشهن، أضف الى هذا قرار اختيار الزوج بأنفسهن لم يعد يخضع لقواعد التبادل الزواجي اللحمي السائد في المجتمع التقليدي.

5-1 العلاقات الصدمية بين الأخلاق التقليدية والأخلاق الحديثة: إن بعض الملامح الثقافية التي تعود صراحة للأخلاق التقليدية يعيشها قسم من الفتيات بشكل صدمي، فهن يعلن عن صدمات مع أهاليهن حول السلطة، الأزياء، الخروج من المنزل، الاختلاط والمبادئ، حيث يشكل الآباء في كثير من الأحيان الطرف الثاني للمعادلة الصراعية بالتالي عليهما تقبل هذه الوضعية على حد قول أ.براكونييه A.Braconnier :" على الوالدان أن يتقبلا أن يكونا موضع ضغط عنيف متجه نحوهما، فهما يقعان في أول خط لعدوانية عدد من المراهقين" (11)

يرتدي هذا التفاوت الذي يمكن ملاحظته عند مجابهة بين جيل من الكهول وجيل من الشباب معنى خاص في سياق محدد. حيث يوجد اساس هذا التفاوت في تلك الأزمة المنبثقة والمتمثلة في ضرورة التكيف على اقتصاد حديث والنماذج الثقافية المرتبطة به، والتي أخضعت لها الأجيال السابقة في المجتمع الجزائري بعنف.

وفقا للمسار الاجتماعي الثقافي للمجموعة التي تنتمي اليها الفتاة، يجري كل شيء كما لو كانت أخضعت بدرجات مختلفة للضغط المتناقض من الأخلاق التقليدية ومن الأخلاق الحديثة العقلانية. ان الفتيات اللواتي يعشن هذه الازدواجية هن أقليات في كل حال، فهن يتمتعن داخل المدرسة باستقلالية واسعة، لسبب الحاجة الى التكيف مع التحولات الاقتصادية والطابع الشرعي للمؤسسة. فعلى الفتيات العصريات مواجهة أوضاع متناقضة، لا يمكن فهمها الا بردها الى محل المجتمع الجزائري المتحول من التقليدية الى الحداثة، والى الصراعات والتسويات الناجمة عن ذلك.

لقد أشار وينيكوت D.Winnicott الى خلفيات تفكير البنت بعد البلوغ:" إن البنت الصغيرة ذات الأربع سنوات تتقمص أمها غيرة منها على قدرتها في الإدراك،وفي الرابعة عشر تصبح قادرة على أن تكون حاملا أو تهدي جسدها مقابل المال"(12) هكذا يتحدد هذا التلقين الثقافي المهيمن في الجزائر بمصدره المزدوج، نظام ثقافي حديث ذو طابع غربي ونظام ثقافي تقليدي ليس ذو أصل وشكل غربيين. ان التربية المدرسية الحديثة خاصة،تلقن بطرق مختلفة حسب المعارف والاستعدادات وطرق العيش لهذه الفتيات اللواتي حصلن عليها في تربيتهن الأولى،اذ أن التربية والتأثير الثقافي الخاص بالعائلة يجب أن يعتمد على الاتصال خاصة مع هؤلاء الفتيات، لكي يجدن معالمهن في هذه الحياة. وقد شدد أ.براكونييه A.Braconnier على أهمية الحوار بين الآباء والمراهقين فقال:" في كل الحالات يبقى الحوار عنصرا مهما في علاقة الآباء بالمراهقين، وتنظم حوله مختلف خطوط الضغط...فغياب الحوار أو التملص منه من طرف الآباء يعيشه المراهق كإشارة على لامبالاة حقيقية" (13) فمن المواقف و التصرفات المختلفة بين الفتيات، نستخلص نزعتين وفقا لمصدركل منهما: بيئة تمتاز برأسمال مدرسي مرتفع نسبيا أي أب ذو وظيفة فكرية، وأخرى من عائلات ذات رأسمال مدرسي ضعيف أومنعدم، أب ذو وظيفة غير فكرية.

أقربهن الى النظام الثقافي الحديث هن الفتيات المنتميات لى أوساط يمكن وصفها وفق تعبير ب.بورديو P.Bourdieu " النخبة الفكرية "، أما الفتيات اللواتي يتأثرن أكثر بالتربية التقليدية، فهن البنات المنحدرات من مجموعات تمتاز بثقافة شفاهية شعبية محصلة أساسا بواسطة اللغة العربية فقط.(14) ترتبط النماذج الثقافية المعقدة التي يجب على الفتيات المنحدرات من هذه المجموعة العودة اليها بالظروف التاريخية والاجتماعية الاقتصادية التي يتم بموجبها نزع التقليدية عنهن. بالرغم من التباين الثقافي، يسجل تعليم الفتيات القطيعة مع القواعد التقليدية، وتبقى الوسيلة الأكثر عقلانية وفعالية لتحقيق تحرر النساء في الجزائر،وهو شرط لبناء الاقتصاد.

2- الانحراف:

2-1 تعريفه:

لغة:الانحراف ترجمة لكلمة Delinquency في اللغة الانجليزية و Délinquance في اللغة الفرنسية، تعني التقصيروالاهمال أو الاثم وانتهاك القانون. الانحراف لغة هومخالفة كل حد طبيعي، فنقول انحرف الى انحرافا بمعنى صرف عنه، أي مال وأنحرف وعدل عن الشيء، ونقول بمعنى أنحرف مزاجه، أي أصابته وعكة ومال عن طبيعته.(15) أو هو الاثم الذي ينسب الى صاحبه، والانحراف في معناه الواسع لا يتفق مع توقعات ومعايير السلوك الفردي، العامة والمقررة داخل النسق الاجتماعي.

اصطلاحا:يعرف الانحراف على أنه مجموعة الأفعال التي يؤدي اكتشافها الى عقاب مرتكبيها قوى المجتمع الأكبر. ويرى " م.ب.كلينارد" أن هذا المصطلح يشير الى المواقف التي يتجه منها السلوك اتجاها مستهجنا، أو غير مقبول بالدرجة التي تجعله يتخطى حدود التسامح في المجتمع الكلي.(16) والانحراف من الظواهر التي يصعب اخضاعها لتحديد دقيق،أو تعريف واحد يتفق عليه كل المهتمين بدراسات الانحراف،ذلك لأن مفهومه تعدل وتطور عبر العصور باختلاف المجتمعات وتطور الثقافات والنظم، فتعددت دلالاته ومفاهيمه. فالسلوك المنحرف ليس مجرد السلوك الذي لا يتفق مع معيار أو قاعدة اجتماعية معينة، لكنه السلوك الذي يقوم به عضو من الجماعة، وينتهك معيارا معينا على الرغم من الادراك الفاعل لهذا المعيار ولأهميته وتمسك الآخرين به.

2-2 الانحراف حسب مختلف العلوم:

2-2-1 علم النفس: هو سلوك اجتماعي آساسه عدم التوافق أو الصراع النفسي بين الفرد ونفسه، وبينه وبين الجماعة، ويقصد به هنا صراع بين مجال النفس الداخلية للمنحرف وبين علاقاته المختلفة بالآخرين ابتداءا بالأسرة الى الخارج،أي الأفراد الآخرين عامة والمجتمع خاصة.

يعتقد "فرويد S.Freud "أن الانحراف هو عجز الأنا في تكييف الميول الفطرية والنزعات الغريزية لدى الفرد، وذلك مع متطلبات وتقاليد الحياة الاجتماعية. أو عجزه أيضا عن كبتها أو إخمادها في اللاشعور.

ففي كلتا الحالتين يرجعه فرويد S.Freud إلى انعدام وجود الأنا الأعلى أو عجزه عن أداء وظيفته في الرقابة، حيث تنطلق الشهوات والميول الغريزية من قيودها لتلمس الإشباع عن طريق السلوك الإجرامي.

2-2-2 علم الاجتماع: يقصد به السلوك الانساني الغير سوي، كما يعني الخروج البين عن طريق السواء المعتاد والمألوف، وهو ما يجعل هذا السلوك غير مقبول اجتماعيا لأنه لا يتماشى مع القيم والعادات والتقاليد التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك أفراده.(17)

إنها ظاهرة نشأت نتيجة الضغط الاجتماعي على الأفراد، ولم يستطيعوا التوافق مع القوانين التي وضعت وحددها المجتمع، لذلك تعد انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية.

2-2-3 علم النفس الاجتماعي: الانحراف طريقة من الطرق المحدودة عند الأطفال المنحرفين الذين يظهرون بها مشاعرهم وصراعاتهم بأسلوب معين، فقد يمثل عادة محاولة من جانب الأطفال لحل مشكلة خطيرة أو بعيدة الأثر.(18)

2-2-4 الطب العقلي: الانحراف هو ما يشمل الأخطاء، المخالفات وبعض أنواع سوء السلوك، كما يشير الى كل الجرائم التي يرتكبها الفرد المنحرف.

من بين العوامل الأكثر أهمية في ظهور الانحراف هي العوامل الوراثية، مؤثرات الأسرة، صراعات البيئة، الفراغ والملل.

2-3 أنواع الانحراف: يتضمن السلوك المنحرف في محتواه سلوكا غير مقبولا أو غير مرغوب فيه من قبل أغلب أفراد المجتمع، هذا ما يفيد ان مثل هذا السلوك ينطوي على تهديد مباشر اوغيرمباشر لأخلاقيات المجتمع أو عاداته وتقاليده.

يجب التميز بين الأشخاص الذين يكون سلوكهم مشكلة لهم وليس للآخرين، والذين يكون سلوكهم مشكلة لهم وللآخرين. فالسلوك الانحرافي الواحد لشخصين قد يحمل خصائص غير متشابهة نظرا لاختلاف الظروف الشخصية والاجتماعية لكل واحد.

يصنف الانحراف الى:

2 -3-1 الانحراف الفردي: يبدو ظاهرة شخصية لأنه يحدث مرتبطا بخصائص فردية للشخص ذاته، انه ينبع في هذه الحالة من ذات الشخص. ربما يصلح العامل البيولوجي والوراثي في تفسير الانحراف. فاذا لم نجد سببا متصلا بذلك، فالتفسير يرجع الى المؤثرات الثقافية والاجتماعية في تفاعلها مع الخصائص الوراثية بصورة تؤدي الى الانحراف.(19) وهذا ليس معناه أن الانحراف الفردي غير طبيعي بطبيعته، او أنه يحدث بعيدا عن المواقف الاجتماعية.

2-3-2 انحراف الموقف: يقصد به الانحراف وليد البيئة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والتربوية المحيطة بالمنحرف، ولا يستلزم النظر الى الفرد باعتباره عاملا في الصورة الكلية للانحراف.

ففي هذه الحالة يفسر الانحراف باعتباره وظيفة لوطأة القوى العاملة في الموقف الخارجي للفرد، أو في الموقف الذي يكون فيه الفرد جزءا متكاملا، وبعض المواقف قد تشكل قوة قاهرة ممكن أن تدفع بالفرد الى الاعتداء على القواعد الموضوعة للسلوك.

فقد يضطر رب الأسرة الى السرقة اذا تعرضت عائلته لخطر الجوع، وقد تدفع الفتاة نفسها الى الدعارة لأن الأجر الذي تتقاضه لا يشبع مطامحها.(20)

قد يتراكم الانحراف بسبب الموقف نتيجة الصراع الثقافي الذي يظهر في صور متعددة مثل المسروقات التي تختلس من الفنادق والمطاعم، على الرغم من أن اللصوص في هذه الحالات ينظر اليهم باعتبارهم أفراد محترمين في المجتمع. وقد يظهر الانحراف في شكل تجنب هذه المواقف أو الانسحاب من الواقع من خلال اللجوء الى المسكرات والمخدرات.

2-3-3 الانحراف المنظم: يقوم الانحراف المنظم على قاعدة جماعية، وهي أنه يتم من خلال عمل جماعي ويظهر كثقافة فرعية أو كنسق سلوكي مصحوب بتنظيم اجتماعي خاص، له أدوار ومراكز وأخلاقيات متميزة عن طابع الثقافة الكبرى، العصابات مثلا.

4-3-2 الانحراف العرضي: يمثل أكثر الأصناف الانحرافية تعقيدا، حيث أن المنحرف العرضي لا يتميز بأسلوب حياة انحرافية ظاهرة. فهو في الواقع لا ينتسب الى تنظيمات اجرامية وعصابات منحرفة، ولا يعاني ظروفا أسرية أو تربوية أو دينية غير سوية، كما لا نجد لديه اضطرابات عقلية أونفسية أو سيكوباتية مرضية معينة.

نجده ملتزم بكل المعايير الاجتماعية والأخلاقية السائدة في المجتمع، لكن تضعف ارادته ازاء بعض الضغوطات الشديدة الطارئة، فيرتكب عملا اجراميا أويسلك سلوكات منحرفة. هذه الضغوطات تبرر له الاعتقاد بانعدام البديل المشروع للتصرف المناسب.

3- وسائل البحث الميداني: للوصول الى عوامل الانحراف لدى الفتاة وسط العائلة الجزائرية، استعملت ثلاث وسائل تساعد في بلوغ الغاية المنشودة وهي: المقابلة الأكليتيكية النصف موجهة، اختبار الرورشاخ واختبار الإحباط.

أما الحالة التي هي قيد الدراسة، فهي فتاة تبلغ 19 سنة، مستوى الثانية ثانوي وتحتل المرتبة الثالثة بعد الأخ الأكبر23 سنة ثم الأخت 21 سنة و أخت رابعة لها 17 سنة.

المستوى المعيشي للعائلة لا باس به، إذ يعمل الأب كسؤول في شركة وطنية، بالإضافة إلى أن الأم تعمل أيضا في شركة وطنية. تقطن العائلة في مسكن فردي واسع متعدد الغرف، مع الإشارة أن المستوى الثقافي للأبوين حسن على العموم. تكمن مظاهر الانحراف لدى الحالة في التدخين دون انقطاع، تعاطي الحبوب المهدئة بالإضافة إلى تعاطى الخمور كلما سمحت الظروف بذلك.

3- 1 المقابلة الاكلينيكية النصف موجهة: يعد مثل هذا النوع من المقابلات الاكلينيكية تبادل للمعلومات بين المفحوص والأخصائي النفسي، حيث يستعين فيها المفحوص بالأسئلة التي يطرحها الفاحص، وهنا لا يخرج من إطار موضوع البحث ويسير في اتجاه واضح مع المحافظة على حرية التعبير. يشير كل من بيدينيلي وروان G.Rouan et J.L.Pedinielli الى المقابلة الإكلينيكية في قولهما:" تسمح المقابلة النصف موجهة بالوصول إلى دينامية العمليات النفسية، حيث يستطيع العميل تنظيم حديثه كما يريد مع إمكانية خلق شكل من النمطية "(21) لقد تم استخلاص أسئلة المقابلة النصف موجهة تبعا لمحاورها، وذلك بوضع مؤشرات تخص كل واحدة من الفرضيات الجزئية الموضوعة.

بالنسبة للفرضية الأولى والتي مفادها " فشل العلاقة العاطفية مع الطرف الآخر يدفع الفتاة الى الانحراف"، تتمثل مؤشراتها في:

- التصورات والأحاسيس.
- الأقوال.
- السلوكات.
- التفاعل والاتصال.
- الثقافة في الجانب العاطفي.

أما الفرضية الثانية فمفادها " انعكاسات أسلوب التنشئة الاجتماعية الرافض للحوار يدفع الفتاة الى الانحراف"، تتمثل المؤشرات في:

- الاتصال ونوعه، موجود أو لا.
- ممثلي هذا الاتصال.
- خصائصه، جاف أو ودي أو متغير، أحادي القطب أوتسلطي.
- معلومات عن التنشئة الاجتماعية.
- القائم بها: آب أو أم أوغيرهما.
- نوعها: جامدة، حرة أو مختلطة.

و الفرضية الثالثة تشير إلى أن " التغيرات الجسدية والنفسية لفترة المراهقة تدفع الفتاة الى الانحراف"، ومؤشراتها هي:

- العوامل النفسية كالخجل.
- العوامل الاجتماعية، معاملة في المنزل وخارجها.
- العوامل البيولوجية، النظرة نحوالجسم وتغيراته، ونظرة الآخرين الى الجسم.

2-3 تحليل المحتوى: عبارة عن طريقة يمكن تكييفها في كل دراسة حسب الهدف المراد الوصول اليه، والذي يرجع في هذه الدراسة الى التعرف على شخصية الفتاة المنحرفة.

لقد تم اتخاذ طريقة تحليل المحتوى كوسيلة لعلاج النتائج المحصل عليها من خلال المقابلات العيادية. يمكن تطبيق هذه الطريقة في الروائز الاسقاطية كذلك، والمقابلات حيث يرمي هدفها الى المعنى أو الفهم الأبعد والأعمق، كما تستعمل كلما كانت الغاية تقنين وتعميم النتائج، بمعنى الاقتراب من الطريقة العلمية.

3-3 اختبار الرورشاخ: اختبار إسقاطي، يتكون من عشرة لوحات مبهمة، لأنها عبارة عن لطخات ليس لها معنى محدد، وكل مفحوص توحي له بأشياء معينة.

فالرورشاخ لا يخضع إلى العوامل الحضارية، وتطبيقه يكون بشكل فردي يستغرق حوالي ساعة ونصف.

3-4 اختبار الإحباط: من الاختبارات الإسقاطية المهمة في علم النفس العيادي، وهو عبارة عن 24 موقف إحباط. حيث يضع المفحوص نفسه مكان الشخص المحبط ويتصور رد فعله. بعدها يقوم الفاحص بتدوين رد الفعل ويقدر اتجاه العدوان.

تجدر الإشارة أن الهدف من تطبيق هذا الاختبار هو درجة الامتثالية للجماعة، واتجاه العدوان إن كان نحو الذات أو نحو الآخرين أو متجنب.

4- نتائج البحث الميداني:

1-4 جدول تحليل المحتوى:

الصنف	الوحدة	تردد الوحدة	نسبة التردد	نسبة الصنف
فشل العلاقة العاطفية	سلبيات العشيق	05	%10.63	%36.15
	معلومات خاطئة	05	%10.63	
	تأثير سلبي من طرف الأم	07	**%14.89**	
فشل التنشئة الاجتماعية	توتر العلاقة مع الأم	05	%10.63	%36.16
	انعدام الحوار	08	**%17.02**	
	علاقات محدودة	04	%08.51	

المظاهر السلبية لفترة المراهقة	القلق والعصبية تقدير سلبي للذات نظرة سلبية اتجاه الاخرين	05 03 05	%10.53 %06.38 %10.63	%27.64

2-4 نتائج التحليل العام للحالة: تبعا للثلاث أصناف المعالجة في هذه الدراسة، ورد الصنف الأول أي فشل العلاقة العاطفية ممثل بالوحدة الثالثة خاصة والتي ترددت سبع مرات بنسبة 14.89% ،مايبين مدى تأثير الأم على هذه الحالة. مع تردد متساوي للوحدتان الأولى والثانية بتكرار خمس مرات لكل منهما أي ما يعادل 10.84% .

أما في الصنف الثاني فشل التنشئة الاجتماعية، فتكررت وحدة انعدام الحوار ثمانية مرات وبنسبة 17.02% وهي أعلى نسبة لدى الحالة، هذا مايدل على مدى تأثير هذا العامل.

ثم تردد وحدة توتر العلاقة مع الام خمس مرات بنسبة 10.63% ويليها وحدة العلاقات الخارجية المحدودة بأربع مرات مايساوي 08.51% . اذا نظرنا الى صنف المظاهر السلبية لفترة المراهقة، كانت وحدة القلق والعصبية مكررة خمس مرات وبنسبة 10.63% وهو الحال أيضا لوحدة النظرة السلبية اتجاه الاخرين، ثم وحدة التقدير السلبي للذات بثلاث تكرارات أي بنسبة مئوية تعادل 06.38% .

ان الاشارة الى نسبة تأثير كل صنف على حدى تجعلنا نلاحظ تقارب وتعادل الصنفين الأولين بدرجة كبيرة 36.15% و36.16 % ، اذ أن فشل العلاقة العاطفية وفشل التنشئة الاجتماعية هما عاملان أساسيان ومن دواعي ولوج الفتاة المراهقة عالم الانحراف.

كما لايمكن اهمال المظاهر السلبية لفترة المراهقة في هذا الصدد، والتي كانت نسبة تأثيرها أقل 27.64% ،دورها في هذا الشأن لايقل أهمية عن سابقيها.

ان الظروف العائلية التي تحيط بالفتاة لها تأثير كبير في تسطير سلوكاتها، حيث أن نتائج تحليل المحتوى ظهر فيها التأثير السلبي للأم وانعدام الحوار داخل العائلة، وهما

ذات دلالة كافية.بالاضافة الى ميزة القلق والاندفاعية، وهذا راجع الى العائلة والآباء ولامبالاتهم بشؤون أبنائهم خاصة الفتيات.

مافتئ بوسبسي M.Boucebci يصف مثل هذا النوع من الآباء في قوله:" إن الآباء ليسوا مهيئين دائما لتقبل دورهم الجديد، فأجوبتهم على طلب الشبان تكون غالبا غير ملائمة وغامضة" (22) لعل عدم امتثالية الفتاة للجماعة والتي وردت في اختبار الاحباط تجلت في الاقبال على عالم الانحراف، مع تزايد نسبة العدوانية الموجهة نحو العالم الخارجي، وهو مايسمى عدم الانسجام. ويعرفه فستنجر Fistinger:" انه مجموعة ساحات القوى التي تهدف إلى جعل الجماعة متماسكة ومقاومة لقوى التفكك" (23) كما أن النظرة السلبية اتجاه الآخرين معناها رفضهم وكذا التناقض مع السلطة، حيث تكلم انزيو D.Anzieu على غرار كلاين M.Klein عن البعد المزدوج الهوامي والرمزي داخل الجماعة، أي أن وضعية الجماعة الموجهة تنمى لدى الأفراد التناقض مع السلطة، وفي مقابل ذلك الوضعية الغير موجهة ينتج عنها نكوص أكثر قدما، قبل أوديبي مع تضاعف قلق التجزئة، الاضطهاد والاكتئاب. (24) من خلال تطبيق اختبار الرورشاخ ظهرت عاطفة متمركزة حول الذات مع عدم القدرة على ضبط الانفعال، هذا ما يشير الى طابع الاندفاعية والعصبية. رغم ذلك فالحالة بصدد البحث عن هوية اجتماعية رغبة منها في الاستقلالية، وذلك على طريقتها الخاصة والتي تتمثل في العصيان ورفض الآخرين وبواسطة الانحراف، هذا الأخير تجلت مظاهره في التدخين دون انقطاع، تعاطي المهدئات والخمور. فالعصيان حسب" ديباس Debesse " تتبعه أحيانا مرحلة الشذوذ، لما يحس المراهق أنه هرب من سجن الطفولة يبحث عن تأكيد استقلالية جديدة.(25)

كما تتخذ الفتاة طريقة عدم الامتثال للجماعة بغية التعبير عن رفضها النماذج المشتركة، وترى في الانحراف وسيلة للتخلص منها. ففي حالة رفض القيم المشتركة، يرى الفرد تضامن الجماعة والنتائج المترتبة عنه كوضعية تعسفية في صالح الأقلية تستعملها لمصالحها الخاصة.(26)

خاتمة:

من خلال الدراسة الميدانية التي اهتمت بانحراف الفتاة في المجتمع، اتضح لنا واقع مؤلم رغم أنه حقيقي. فالانحراف كظاهرة اجتماعية مستنكرة، لم يعد يقتصر على الذكور فقط

بل تعدى إلى البنات. وأصبح ما كان محظورا على الفتى، تقوم به الفتاة بكل جرأة و دون قيد ولا ناه. و النتائج المتحصل عليها تحمل في طياتها بروفيل نفسي للبنت، يميزه العدوان والاندفاعية بالإضافة إلى نبد الآخرين والولوج في علاقات مشبوهة تجر إلى العصيان والتمرد. لقد اختارت الفتاة الخروج على المعايير الاجتماعية ورفضها، وهذا ما ظهر من خلال تطبيق اختبار الإحباط، حيث كانت العدوانية موجهة للآخرين بصفتهم السبب المباشر للوضعية الاجتماعية التي تعاني منها. لعل هذه النتائج تفضح دور العائلة في الاهتمام بالأبناء بصفتها الخلية الأساسية التي لا بد لها أن تساهم بلا هوادة في إرساء أسس التنشئة الاجتماعية السليمة. لذلك، يتحتم على الآباء الرجوع إلى مساندة أبنائهم و منحهم الوقت الكاف من الاهتمام. وهو السبيل الوحيد لدحر مثل هذه الآفات الاجتماعية التي تهدد كيان المجتمع وتعمل على شله. تبقى النتائج التي تحصلنا عليها، تخص الحالة قيد الدراسة فقط ولا يمكن تعميمها بأي حال من الأحوال.

الهوامش:

(01) Boutefnouchet.M , **La famille algerienne,** Sned, Alger, 1982 P 37
(02) Ibid, P 05
(03) Lebovici.S , **La connaissance de l' enfant par la psychanalyse** , Puf ; Paris, France, 1978 p 438
(04) Bettelheim.B, **L'amour ne suffit pas,** Edition Fleurus, Paris, 1970 P 226
(05) Dolto.F , **La cause des adolescents,** Editions Payot, Paris 1988 P 149
(06) Lebovici.S, Ibid, P 395
(07) Klein.M , **La psychanalyse des enfants,** Puf, Paris, 1978 p247
(08) Pincus.H.A **,D.S.M.IV soins primaires,** Edition Masson, Paris 1998 p 151
(09) Klein.M , Ibid p248
(10) Braconnier.A- Marcelli.D, **Adolescence aux mille visages,** Editions universitaires, Paris , 1991 P 37
(11) Ibid, P 37
(12) Winnicott.D , **Le processus de maturation de l'enfant,** Edition Payot, Paris 1974 P 234
(13) Braconnier.A- Marcelli.D, Ibid, P 141

(14) جغلول عبد القادر،**المرأة الجزائرية**، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1983 ص 93

(15) المنجد العربي الإعدادي، بدون سنة.

(16) غيث.م.ع، **المشكلات الاجتماعية والسلوك الانحرافي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1984 ص 216

(17) أكيوس.و.ك، **انحراف الأحداث**، ترجمة عينات زكي، القاهرة 1963 ص 35

(18) الجيبوش.و.م، **انحراف الأحداث**، الهيئة المصرية العامة، مصر،؟، ص 24

(19) غيث.م.ع، المرجع السابق، ص 102

(20) المرجع السابق، ص 100

(21) Cyssau.C , **L'entretien en clinique,** Serge et France pérot éditeur Paris 1998 p102
(22) Boucebci.M , **Psychiatrie, société et développement,** Sned,Alger, 1979 p 63
(23) Abric.J.C, **Psychologie de la communication,** Edition Armand colin, Paris 1999 p 75
(24) Ibid, p 70
(25) Rousselet.J , **L'adolescent en apprentissage,** Puf, Paris 1961 p 114
(26) Szabo.D, **L'adolescent et la société,** Edition dassart et mardaga, Bruxelles, 1972 p 99